استجابة الصـلاة

رسالـة توعـية

الأب متى المسكين

حينما تقدّم أبو الولد المريض بالصرع إلى المسيح:

[وَلَمَّا جَاءُوا إِلَى اَلْجَمْعِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلٌ جَاثِياً لَهُ

وَقَائِلاً: يَا سَيِّدُ اِرْحَمِ اِبْنِي فَإِنَّهُ يُصْرَعُ وَيَتَأَلَّمُ شَدِيداً وَيَقَعُ كَثِيراً فِي اَلنَّارِ وَكَثِيراً فِي اَلْمَاءِ.

وَأَحْضَرْتُهُ إِلَى تَلاَمِيذِكَ فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَشْفُوهُ .

فَأَجَابَ يَسُوعُ: أَيُّهَا اَلْجِيلُ غَيْرُ اَلْمُؤْمِنِ اَلْمُلْتَوِي إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ؟ إِلَى مَتَى أَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمُوهُ إِلَيَّ هَهُنَا!

فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ فَخَرَجَ مِنْهُ اَلشَّيْطَانُ. فَشُفِيَ اَلْغُلاَمُ مِنْ تِلْكَ اَلسَّاعَةِ... وَأَمَّا هَذَا اَلْجِنْسُ فَلاَ يَخْرُجُ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَاَلصَّوْمِ] **[متى ١٧: ١٤ ـ ٢١]...**

لم يكـن لـه الإيمان الكافى...

لأنـه سأل المسيح:

[لَكِنْ إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيْئاً فَتَحَنَّنْ عَلَيْنَا وَأَعِنَّا] **[مرقس ٩: ٢٢]...**

فلم يعجب المسيح هـذا التردد، وأعـاد السؤال لـه هـكذا:

[إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ فَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ] **[مرقس ٩: ٢٣]...**

وهـكذا ربط المسيح معجـزة الشفـاء بالإيمان، وليس بالتحـنن...

وهـذا كـثيرًا ما نخطـئ فيه جمـيعًا...

فنقـول:

{ إن أراد الله أن يتحـنن علينا، يشفى هـذا أو ذاك أو يشفينى }...

فهـنا ردّ الله يكـون:

{ أنا أتحـنن علـى من يؤمن أنّـى قادر أن أشفـيه...

أى بمعنـى آخـر تحننى علـى خـليقتى دائم ومتوفـر فى جمـيع الحـالات...

غـير أنـه لا ينفـّذ إلا لمن يؤمـن بـه...

فليس التقـصير فى تحننى...

ولكـن التقـصـير فـى إيمـانكم بـى }...

فتحـنن الله لإتيـان الأعمـال الخـارقة للعـادة يتطـلّب إيمانـًا خـارقـًا للعـادة...

أى عـلى قـدر صـعوبة الشفـاء يطـلب الله شدة الإيمـان...

ولكن ليس عـند الله شئ مستحـيل...

فكـل إيمان يساويه عمـا من الله: [كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ]**...**

أمّا لغير القادرين عـلى الإيمان، فتحـننـه جاهـز وفعـال إذا سأل...

[فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو اَلْوَلَدِ بِدُمُوعٍ وَقَالَ: أُومِنُ يَا سَيِّدُ فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي] **[مرقس ٩: ٢٤]...**

هنـا وضـع الله أمام تفكـيرنـا نمـوذجًا مستحيلاً لعمـل الإيمان...

إذ قال أنـه:

[لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا اَلْجَبَلِ: اِنْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ] **[متى ١٧: ٢٠]...**

[إِنَّ مَنْ قَالَ لِهَذَا اَلْجَبَلِ اِنْتَقِلْ وَاِنْطَرِحْ فِي اَلْبَحْرِ وَلاَ يَشُكُّ فِي قَلْبِهِ بَلْ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ يَكُونُ فَمَهْمَا قَالَ يَكُونُ لَهُ.

لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ] **[مرقس ١١: ٢٣، ٢٤]...**

هنـا يُلاحـظ القـارئ أن المسيح يطلب إيمانـًا قليلاً، ولكـن ليس ضعيفـًا...

بل كما فى حـبة الخـردل هو فعّـال أشد الفعـالية والحـيوية...

وإن أردنـا أن نشبه القـليل والفعـل العظيم المقابل لـه...

يكـون كما صـوره لنا عـالم الطبيعيات أرشيميدس اليونـانى، فهـو يقـول:" اعطونى رافعـة طريلة، واعطونى نقطة ثابتة خارج الأرض، وأنا أحرك الأرض كلها من مكانـها"...

بل ووضع قانون الرافعات طبقـًا لذلك...

وهو معـروف لدى دارسى الميكانيكا...

والروافع كـثيرة، ولكن أن نجـد نقطة ثابتة خارج الأرض، فلا يمكن!!!

فهـذا الثبوت هـو الذى يطلبه المسيح بصـلاة الإيمان حتـى يحـرّك بـه الجـبل أو يشفى المريض، سيان فكلاهما فوق الطبيعة...

وكـثيرون يسألوننـى:

" لماذا نطلب مـن الله بإلحـاح ودمـوع، والله لا يستجيب؟"...

فأقـول:

" هـذا هـو المحـال فيما يخص الله مـع شعبـه...

فكـلّ شئ ممكن إلا أن يكـون الله غير صـادق أو يغيّر وعـده...

[حَاشَا! بَلْ لِيَكُن اَللهُ صَادِقاً وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِباً] **[رومية ٣: ٤]...**

فالمسيح جعل استجابة السؤال مضمـونـة بدمه واسمه وحق بنوّته...

فهـو الذى سبق وقال:

[كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ] **[مرقس ١١: ٢٤]"...**

وهكـذا جـعـل المسيح استجابة الصـلاة لا تعتمد علـى رؤيته أو فكـره الخاص...

بـلّ جـعـلـها مرهـونـة بإيماننـا...

وأى إيمــان؟...

الإيمان الذى يثـق أثنـاء الصـلاة أنه قد نـال ما يطـلبـه فيكـون لـه!!!...

أى كمـا أراد ووثـق بالإيمان...

بمعنـى أن الله أعطانا فى المسيح أن نقـرر أولاً إن كـنا نـنـال بالإيمان ما نطـلبه أو لا ننال...

أمّا هـو فمستعد أن يعطى...

بلّ ويقـول بولس الرسول أكـثر من ذلك:

[وَالْقَادِرُ أَنْ يَفْعَلَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَكْثَرَ جِدّاً مِمَّا نَطْلُبُ أَوْ نَفْتَكِرُ، بِحَسَبِ الْقُوَّةِ الَّتِي تَعْمَلُ فِينَا] **[أفسس ٣: ٢٠]...**

فإن قـرّرنـا بقـوة الإيمـان فى الصـلاة التى نصـلّيها أننـا قد نلنـا ما طلبنـاه...

يكـون لنـا بقـدر ما طـلبنا، وأكـثر مما طـلبنا، أو حتى أكـثر مما فكّرنـا...

لأن سخـاء الله فى المسيح لا بـدّ أن يغلب طمعنا فيه، لمـاذا؟...

لأنـها هـى مسرّة الله فى المسيح أن يُفَـرِّح قـلوبنا لنشكـره ونـعطيه المجـد...

فمهما طمعنا فى محـبته وسخائه فهـو الذى سيتمجد بالأكـثر...

لهـذا نسمعـه يستحـثنا لأن نطـلب واثقـين فيه:

[اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ.

إِلَى الآنَ لَمْ تَطْلُبُوا شَيْئاً بِاسْمِي. اُطْلُبُوا تَأْخُذُوا لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً] **[يوحنا ١٦: ٢٣، ٢٤]...**

وبمعنـى آخـر نـحن مسئولون عـن استجـابة صـلواتنا...

ولا اعـتبار لصـعوبة ما نطـلبه حتـى ولو كان نقل جـبل...

ألم يقل هو ذلك؟...

فقد وضع لنا المسيح القاعدة للإستجابة...

وجعل الإستجابة حاضرة عنده مهما كان الطلب فوق المستحيل: نقل جبل!!...

وهكذا أخرج من دائرة شكوكنا أن يكون الطلب معقولاً...

بل استحثنا لمنتهى الطمع فى استجابته مهما كان الطلب كبيرًا جدًا أو غير معقول...

إذ جعل الشرط الوحيد الذى يحرّكه مباشرة للإستجابة هو الثقة فى أنه يعطينا ما نطلبه...

وبعد ذلك : [كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ **] ...**

وفى الحقيقة، هذا الشرط الوحيد الذى وضعه المسيح لإستجابة السؤال والطلبة بأن نثق فيه أنه أعطانا (وليس سيعطينا) ما نطلب...

هو كسر للمعقول لبلوغ منتهى الثقة الشخصية فيه...

فالآب السماوى يريد أن يدربّنا إذا أعوزنا شئ نمدّ أيدينا ونأخذه من حبيه!!...

[جَاهِدْ جِهَادَ اَلإِيمَانِ اَلْحَسَنَ، وَأَمْسِكْ بِالْحَيَاةِ اَلأَبَدِيَّةِ اَلَّتِي إِلَيْهَا دُعِيتَ أَيْضاً، وَاِعْتَرَفْتَ اَلِاعْتِرَافَ اَلْحَسَنَ أَمَامَ شُهُودٍ كَثِيرِينَ **] [١ تسالونيكى ٦: ١٢]...**

بهذه الجرأة عينها يعطينا أن نمسك بعطاياه على أساس محبته الفائقة نحونا...

فالذى أعطانا حياته فهو حتمًا يعطينا ما نطلبه:

[فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَطْلُبُونَ بِاسْمِي. وَلَسْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي أَنَا أَسْأَلُ الآبَ مِنْ أَجْلِكُمْ

لأَنَّ الآبَ نَفْسَهُ يُحِبُّكُمْ لأَنَّكُمْ قَدْ أَحْبَبْتُمُونِي وَآمَنْتُمْ أَنِّي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَرَجْتُ **] [يوحنا ١٦: ٢٦، ٢٧]...**

[اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى اِبْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ **] [رومية ٨: ٣٢]...**

إذن، فوعد المسيح بأن كلّ ما نطلبه فى الصلاة [فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ **] هو تصريح موطّد ومؤكّد ومبنى على ثقة الابن فى الآب والآب فى الابن...**

فاستجابة السؤال والطلبة، أصبحت ثمرة من ثمار التجسّد والموت والقيامة...

أى تحصيل عمل لاهوتى كبير جدًا وعميق للغاية...

فالذى يطلب بعد ذلك ويسأل فى الصلاة ويشك فى قدرة المسيح على الاستجابة، أو يشك فى عدم صلاحيته هو للأخذ...

فهو كأنما يشك فى عمل المسيح الفدائى كله...

ويشك فى الصلة العظمى التى تربط الآب بالابن...

فإن كنا نؤمن بالمسيح فالآب يحبنا...

وإن كنا موضع محبة الآب، فنحن نسأل لنأخذ...

ولسنا نسأل لنشحذ لرحمة بعد، بل نسأل لنأخذ حسب وعد المسيح والآب...

إذن، المسيح قد وضع المحك الكبير فى استجابة الصلاة أن نؤمن بأن ما نطلبه ننالهِ ليكشف به مستوى إيماننا به وبالآب، ومستوى ثقتنا فى علاقته هو بالآب...

فإن كانت صحيحة أخذنا فى الحال ما طلبناه بدون إلحاح...

هذا فى الحقيقة دستور الصلاة المُجابة...

وقانونها الذى يعتمد على صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب...

إذن، فمن صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب، فنحن نستمد استجابة الصلاة...

كذلك فإستجابة الصلاة تكون أكبر شاهد على صحة وقوة إيماننا بالمسيح والآب...

وأصبح تطبيق هذا القانون هو كالآتى:

اطلب ورفّع طلبك وزده صعوبة، واطمع فى سخاء المسيح والآب ما شئت، ورسّخ الإيمان فى قلبك أنك قد نلت كل ما طلبت، فيكون لك:

[كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ **]...**

فهذا القانون هو بحسب كمشيئة المسيح والآب، وفيه يتمجّد الآب بالابن فى كل طلبة ننالها!!..

والذى يرفّع من طلبه ويزيد من صعوبته، هو فى الحقيقة يرفّع من تمجيد الآب والمسيح ويزيد فى تمجيدهما...

فهل بعد ذلك يحق لأى إنسان أن يقول إنه طلب من المسيح مرارًا وبإلحاح ودموع ولم يُستجب له؟؟...

ألا يكون مثل هذا التصريح هو اتهام مباشر لصدق المسيح والآب؟...

وألا يعتبر مثل هذا الاختبار هو خطأ إيمانى يستحق المراجعة والتصحيح؟...

والآن وقد عرفنا أن الله والمسيح أعظم من أى سؤال وطلبة مهما كان صعبًا بلّ مستحيلاً...

وأن الوعد ثابت ومؤكّد أن المسيح مستعد للإستجابة إن كنّا نثق فى هذه الإستجابة...

أصبح الشك فى الإستجابة يُضاف إلى عدم إيماننا وليس لعدم سماع الله...

من هنا نفهم خطورة وقوفنا أمام الله نصلّى ونطلب...

فنحن نضع أنفسنا أمام اختبار إيمانى هائل...

لذلك يلزم أن نعمل حساب سؤالنا وطلبتنا مرات ومرات...

هل نحن جادون فى الصلاة والسؤال؟...

هل نحن على مستوى الثقة فى استجابة المسيح؟...

هل إيماننا بالمسيح والآب هو على يقين الحق، وأن وعوده صادقة، وأنه أمين على ما يقول، وأنه مستعد أن يهب لنا كل شئ نطلبه؟...

وحينئذ نتقدّم بالسؤال والطلبة ولا نتزحزح عن ثقتنا بأنه قد استجاب...

أما هو فصادق وأمين...

أعطنى ركبًا منحنية وقلوبًا صادقة فى إيمانها بوعد المسيح والآب، طمّاعة فى سخاء الآب واستجابة المسيح، وسوف ترى كيف أن العمى يبصرون، والصمّ يسمعون، والشلّ والعُرج يمشون ويجرون ويرقصون، وكل انواع الأمراض تُشفى حتى المستعصية من سرطان وسل وتليف كبدى و....

فالمسيح هو أمس واليوم وإلى الأبد...

الطبيب الذى جاء من أجل المرضى، وليدعو الخطاة إلى التوبة...